الفَصْلُ السّابعُ
طَعامُ الغَداءِ مَعَ السَّيِّدَةُ يَعقوبَ

فوجِئَ ليبّل بعدَ عودتهِ مِنَ المَدرسةِ إلى المنزلِ، بِسَماعِ صوتٍ يتحدَّثُ مِنْ غُرفةِ المَعيشَةِ. فهلْ تَراجعَ والداهُ عَنْ فكرةِ السَّفرِ؟

اندفعَ نحوَ بابِ الغرفةِ وفتَحَهُ، فشاهدَ السَّيِّدَةَ يعقوبَ تتحدثُ بالهاتفِ وهي جالسةٌ على إحدى (الكَنَباتِ).

كانتِ السَّيِّدَةُ تصفُ غرفةَ المعيشةِ في منزلِ عائلةِ (ماتّنهايم):

ـ أربعُ (كنباتٍ)، وأريكةٌ جلديَّةٌ قديمةٌ، لا تَتناسبُ أبدًا مَعَ الأثاثِ.. ورقُ الجُدرانِ؟ ليسَ لديهم ورقُ جدرانٍ على الإطلاقِ. صحيحٌ، ليسَ هنا إلّا جدرانٌ بيضٌ، عليها لوحاتٌ مجنونةٌ تماآامًا. ليسَ لديهمْ أشياءُ عصريَّةٌ، وليسَ عندهم ستائرُ. تخيَّلي يا أمّي: لا يوجدُ ستائرُ مُطْلقًا في المنزلِ... هذا مؤكَّدٌ تماآامًا.

ـ لكنَّ السَّتائرَ تجعلُ الغرفةَ مظلمةً. أجابَ ليبّل مِنَ البابِ (وهوَ ما اعتادتْ أمُّهُ أَنْ تقولَهُ).

ركضتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ فزعةً نحوَ البابِ.

ـ آه، هلْ عدْتَ يا (فيليپ)؟ سألتْ وهيَ تفتعلُ الابتسامَ، بينَما كانتْ تضعُ يدَها فوقَ سمّاعةِ الهاتفِ.

ـ اذهبْ إلى المطبخ، وارفعِ الغطاءَ عنِ الطَّنجرةِ. قالتْ لَهُ بصيغةِ الأمرِ، ثُمَّ أضافتْ: سَآتي حَالًا، فالطَّعامُ جاهِزٌ.

ذهبَ ليبّل إلى المطبخِ، بينما ظلّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ تواصلُ مكالَمَتَها الهاتفيَّةَ.

ـ إنَّ عليَّ أَنْ أتوقَّفَ الآنَ توقُّفًا تاآامًا يا أمّي، فقدْ عادَ الفتى إلى المنزلِ.

سمعَ ليبّل كلامَها عَنْ بُعدٍ، لكنَّ والدةَ السَّيِّدَةِ يعقوبَ، لَمْ تكنْ، عَلى ما يَظْهَرُ، ميّالةً لإنهاءِ المُكالمَةِ، فقدْ ظلّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ تضعُ سمّاعةَ الهاتفِ عَلى أُذنِها، وتردُّ: نعمْ يا أمّي، كَلّا يا أُمّي.

وضعَ ليبّل صحنَيْنِ عَلى المائدةِ، ووضعَ أدواتِ الطَّعامِ إلى جانبِ كُلِّ صحنٍ، وجلسَ على كرسيِّه ينتظرُ.

كانَ صَدى إجاباتِ السَّيِّدَةِ يعقوبَ يتردَّدُ مِنْ بعيدٍ، فقدْ ظلّتْ تكرِّرُ: «نَعَمْ يا أمّي، كَلّا يا أمّي».

لَمْ يكنْ ليبّل يعرفُ نوعيَّةَ الصُّحونِ الَّتي يَنبغي أَنْ توضَعَ عَلى المائدةِ، لأنَّ السَّيِّدَةَ يعقوبَ لَمْ تخْبِرْهُ عَنْ نوعيَّةِ الطَّعامِ الَّذي أعدَّتْهُ. لهذا نهضَ واتّجهَ نحوَ الفرنِ الكهربائيِّ، ليستطلعَ ما الَّذي قامتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بطهوِهِ.

كانتِ الطَّنجرةُ الأولى مليئةً بالمَعكرونةِ العريضةِ في ماءٍ يَغلي.

ـ لا بأسَ. همسَ ليبّل.



لكنَّـهُ عندمـا تأمَّـلَ الطَّنجـرةَ الثّانيـةَ، أُصيـبَ بالذُّعْـرِ، فقـامَ عَـلى الفـورِ بإغلاقِهـا: لقـدْ كانـتْ مليئـةً بحسـاءِ البَنَـدورَةِ!

حسـاءُ البَنَـدورَةِ، ذلـكَ الطَّعـامُ الَّـذي لمْ يَختـرعِ العقـلُ الإنسـانيُّ طَعامًـا أكثـرَ مِنْـهُ قُبْحًـا ورداءَةً وبشـاعةً!

اسـتدارَ ليبّـل وهـوَ مملـوءٌ بالغضـبِ، وقـامَ عـنْ كُرسـيِّه في المطبـخِ، واتَّجـهَ صـوبَ المِرحـاضِ. بقـيَ ليبّـل واقفًـا خلـفَ البـاب مُعتقـدًا أَنَّ السَّـيِّدَةَ يعقـوب ستناديهِ مِـنْ وراءِ البـابِ المُقْفـلِ (كَـما تفعـلُ والدَتُـهُ)، وسـيرفضُ الخـروجَ، كـي يدلِّـلَ عـلى مـا يعانيـهِ مِـنْ ألَمٍ.

بقـيَ هنـاكَ نَحـوَ ربـعِ سـاعةٍ، دونَ أَنْ يناديَـهُ أحـدٌ، فخـرجَ بعـدَ أَنْ شـعرَ بالملـلِ، وقبـلَ الخُـروجِ ضَغـطَ عَـلى أداةِ تنظيـفِ المِرحـاضِ، وغسـلَ يديـهِ، وعـادَ إلى المطبـخِ.

كانـت السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ جالسـةً إلى مائـدةِ الطَّعـامِ. وكانـتْ قـدْ أزاحـتْ صحنَهـا،

وبدأتْ تأكلُ شيئًا شاحبَ الحُمرةِ مِنْ إحدى العُلبِ.

كانـتِ المعكرونـةُ موضوعـةً في أحـدِ الصُّحـونِ عَـلى الطّاولـةِ، وإلى جانِبهـا صحـنٌ مـليءٌ بالسَّـلَطةِ، وصحـنٌ آخـرُ مـليءٌ بحسـاءِ البَنَـدورَةِ.

ـ هـا قـدْ عُـدتَ أخـيرًا. قالـتِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ عَـلى سـبيلِ التَّحيَّـةِ، ثُـمَّ أضافـتْ: شـهيّةٌ طيّبـةٌ. هَـلْ غسـلتَ يديـكَ بالصّابـونِ؟ لكـنَّ ليبّـل ردَّ بصوتٍ مملـوءٍ بالتَّأنيـبِ:

ـ أهـذا هـوَ حسـاءُ البَنَـدورةِ؟ ثُـمَّ أضـافَ: ألمْ يُخْـبِرْكِ أبي أَنَّنـا جميعًـا لا نُحـبُّ هـذا الحسـاءَ؟

ـ بـلى. لقـدْ أخـبرَني. ردّتِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ. لكـنَّ هـذا ليـسَ حسـاءَ

البَنَـدورةِ، إنَّهـا صلصـةُ البَنَـدورةِ.

ـ إنَّهما طعامٌ واحدٌ في نِهايةِ المطافِ. ردَّ ليبّل غاضِبًا.

ـ لـو أنَّهـما طعـامٌ واحـدٌ كـما تدَّعـي، لـما كانَ لهـما تسـمِيَتانِ مختلفتـانِ. ردَّتِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ وهـيَ تمـلأُ صحنَهـا بالمعكرونـةِ، ثُـمَّ أَوضحَـتْ: إنَّ الأولى حسـاءٌ، والثّانيـةَ صَلصـةٌ. أليـسَ كذلـكَ؟ ثُـمَّ تقدَّمـتْ نحـوَ صحـنِ ليبّـل، ومعَهـا ملعقـةٌ كبـيرةٌ مملـوءةٌ بحسـاءِ البَنـدورةِ، وهـيَ تريـدُ أَنْ تسـكُبَها فـوقَ صحـنِ ليبّـل المملـوءِ بالَمعكرونـةِ. فصـاحَ ليبّـل:

ـ لا، لا تفعلي! وأزاحَ صحنَه بعيدًا.

ـ (فيليـپ)! هـذا سـلوكٌ غـيرُ مـؤدَّب تماآامًـا، فقـدْ كنـتُ عَـلى وشـكِ أَنْ أسـكبَ الصَّلصـةَ فـوقَ مَفْـرَشِ الطّاولَـةِ. أَعْطنـي صحنَـكَ!

ـ كَلّا. لا أسـتطيعُ. قـالَ ليبّـل وهـوَ مملـوءٌ بخيبـةِ الأمـلِ، ثُـمَّ أضـافَ: لا أسـتطيعُ تنـاولَ هـذا الطَّعـامِ أبـدًا.



ـ إذن، فقـدْ كانَ طَهـوي للطَّعـام بِـلا معنـى. ردّتِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ وهـيَ تشـعرُ بالإهانـةِ، ثُـمَّ أضافَـتْ: يـا لَهَـا مِـنْ بدايَـةٍ! أنـتَ ترفـضُ أنْ تـأكلَ، وسـيَتَّهِمُني والِـداكَ بأنَّنـي تركتُـكَ تتضـوَّرُ جوعًـا.

ـ أستطيعُ أَنْ آكُلَ طبـقَ المَعكرونـةِ، مَـعَ كمِّيّـةٍ كبـيرةٍ مِـنَ السَّـلَطَةِ. اقـترحَ ليبّـل.

وهنـا نظـرتْ إليـه السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ وهـيَ لا تشـعرُ بالرِّضـا عَـنْ هـذا الاقـتراحِ. لهـذا مـلأَ ليبّـل طبقَـهُ بالمعكرونـةِ البيضـاءِ، وأضـافَ إليـهِ كومَـةً مِـنَ السَّـلَطةِ، وبَـدَأَ يـأكُلُ.

لكـنَّ ليبّـل لَمْ يسـتطع ابتـلاعَ اللُّقمـةِ الأولى، وبقيَـتِ السَّـلَطةُ الخَـضراءُ في فمِـهِ؛ لأنَّ السَّـيِّدَةَ يعقـوبَ قـدْ أضافـتِ كثـيرًا مِـنَ السُّـكَّرِ إلى نكهـةِ السَّـلطةِ، فـكانَ طعمُهـا واضـحَ الحَـلاوةِ.

وقـدْ مضـغَ ليبّـل اللُّقمـةَ الأولى مِـنَ السَّـلطةِ طويـلًا، ثُـمَّ أقـدمَ بعـدَ صعوبـةٍ عَـلى ابتلاعِهـا بشـجاعَةٍ.

ـ هـلْ تَسـمحينَ، هـلْ تسـمحينَ لي بـأنْ أغسـلَ صَحـنَ السَّـلطةِ؟ سـألَ ليبّـل بِحَـذَرٍ.

ـ تغسـلُ السَّـلَطَةَ؟ ردَّتِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ، وهـيَ تفكِّـرُ مَليًّـا إنْ كانـتْ قـد سـمعتْ مـا قيـلَ لَهَـا عـلى نحـوٍ دقيـقٍ. هـلْ تريـدُ أَنْ تقـولَ إنَّنـي امـرأةٌ غـيرُ نظيفـةٍ؟

ـ كَلّا، كَلّا. ردَّ ليبّـل بسرعـةٍ، وأوضـحَ قائـلًا: إنَّ طعمَهـا غريـبٌ، وأنـا غـيرُ معتـادٍ عـلى هـذا الطَّعـم! إنَّ مذاقَهـا حلـوٌ تمامًـا.

ـ هـذا يرجـعُ إلى السُّـكَّرِ. أوضحـتِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ، ثُـمَّ سـألَتْهُ: أَلا تصنعـونَ نكهـةَ السَّـلطةِ مِـنَ الخَـلِّ والسُّـكَّرِ؟

ـ لا، إطلاقًا. إنَّ مذاقَ السَّلطةِ عِندنا حامضٌ دائمًا. أكَّدَ لها ليبّل.

ـ حسنًا، ستكونُ السَّلطةُ في المرَّةِ القادمةِ حامِضَةَ المذاقِ. لكنَّني لَنْ أسمحَ لكَ أنْ تقومَ بغسلِها، فهذا جنونٌ. ثمَّ إنَّكَ تبدو لي ولدًا مُدَلَّلًا، عَصِيًّا عَلى الإصلاحِ.

لا! لنْ نستطيعَ التَّفاهُمَ إنْ بقيتَ عَلى هذه الشّاكِلَةِ. فأنا لا أستطيعُ أَنْ أطهوَ صنفَينِ مِنَ الطَّعامِ أو ثلاثةَ أصنافٍ، لأنَّ هذا الشّابَّ الصَّغيرَ لا يستطيعُ أَنْ يأكلَها! فإذا كانَتِ الصَّلصةُ لا تناسبُكَ والسَّلطةُ لا تعجبُكَ، فعليكَ أنْ تأكلَ المعكرونةَ. أمْ ترى يتوجَّبُ عليكَ أَنْ تغسلَها هيَ الأُخرى، لأنَّكم تأكلونَها دونَ مِلْحٍ؟

لمْ يُجِرِ ليبّل جوابًا، ولمْ تنتظرِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ منه أَنْ يُجيبَ. لكنَّهُ اكتفى بأنْ أزاحَ بالمِلْعقةِ السَّلطةَ المكوّمةَ فوقَ المعكرونةِ، ونقَلَها إلى طرفِ الطَّبقِ، وبدأَ يأكلُ المعكرونةَ. وكانتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ قدْ شارفتْ على تناوُلِ ما في عُلبتِها الصَّغيرةِ مِنْ طَعامٍ.

ـ ماذا تأكلينَ يا تُرى؟ إنَّ هذا ليسَ صلصةَ البندورةِ. قالَ ليبّل وهوَ ينتقي المعكرونةَ مِنْ طبقِه باستياءٍ.

ـ إنَّني آكل اللَّبنَ: اللَّبنَ مَعَ التّوتِ، واللَّبنَ مَعَ التُّفّاحِ. وقدْ مَزَجْتُهما معًا، إذا أردْتَ أَنْ تعرفَ ماذا آكلُ عَلى وجهِ الدِّقَّةِ. ثُمَّ أضافتْ: إنَّ عَليَّ الانتباهَ إلى قَوامي، على العكسِ منكَ. فالمَعكرونةُ تسبِّبُ السُّمنةَ.

ـ هلْ أخذتِ اللَّبنَ مِنْ ثلّاجتِنا؟ أرادَ ليبّل أَنْ يستفسرَ.

ـ بالطَّبعِ. لماذا؟ هلْ مِنْ غيرِ المَسموحِ أَنْ آخذَ اللَّبنَ مِنَ الثَّلّاجةِ؟ تساءلتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ وماذا فَعلتِ بأغطيةِ العُلَبِ؟ تساءلَ ليبّل وهوَ في قمَّةِ التَّوتُّرِ.

ـ أيَّةَ أغطيةٍ تعني؟ سألتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ أغطيةُ عُلب اللَّبن. إنَّني بأمسِّ الحاجةِ للنِّقاطِ. صاحَ ليبّل.

ـ أيّةُ نقاطٍ؟

ـ نقاطُ التَّجميعِ الَّتي توجدُ فوقَ الغِطاءِ. أينَ هيَ الأغطيةُ؟

ـ آه. أنتَ تَعني سدّاداتِ عُلبِ اللَّبنِ؟ إنَّها في سلَّةِ المُهملاتِ. أنا آسفةٌ فأنا لا أَعلمُ أنَّ فوقَها نِقاطًا.

تركَ ليبّل طعامَهُ، وهُرعَ صوبَ سلّةِ المُهملاتِ وأخذَ يفتّشُ بينَ النُّفاياتِ عَنِ الأغطيةِ الَّتي توجدُ فوقَها نِقاطُ التَّجميعِ.

ـ ماذا تفعلُ هناكَ؟ يا لَلقذارةِ! هلْ أنتَ مجنونٌ؟ صاحتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، وقدْ هُرعتْ نحوَهُ، محاولَةً إبعادَهُ عَنْ سلَّةِ المُهملاتِ.

كانَ ليبّل قدْ عثرَ في تلكَ الأثناءِ عَلى الغطاءينِ، وكانا مُلتصقينِ بالعبوةِ الَّتي كانتْ تحوي المعكرونَةَ، فقامَ ليبّل بانتزاعِهما ودسَّهما في جيبِهِ عَلى الفورِ، قبلَ أَنْ تتمكَّنَ السَّيِّدَةُ يعقوبُ مِنَ الحصولِ عَلَيهِما.

ـ (فيليب)، ارمِ النُّفاياتِ في الحالِ! صاحتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بتوَتُّرٍ.

ـ إنَّها ليستْ قُمامةً. حاولَ ليبّل أَنْ يوضِّحَ لَها. إنَّها في الواقعِ...

ـ لا تعترضْ! أفرغْ ما في جيوبِكَ حالًا! قفْ مكانَكَ! ولا تتحرَّكْ والقذارةُ في جيبِكَ!

مدَّ ليبّل يدَهُ في جيبِهِ، واستخرجَ ما كانَ فيها مِنْ أشياءَ، كانَ يحتفظُ بِها: غطاءُ علبةِ اللَّبنِ الَّتي تَناولَها في الصَّباحِ، وما عَليها مِنْ نِقاطٍ، ورقةُ (المِلَبَّسِ) الَّتي كانَ أرسلانُ قدْ أعطاها لَهُ، وغطاءُ العلبَتينِ اللَّتينِ

استخرجَهُما مِنَ القُمامةِ. وبدلًا مِنْ أَنْ تدعهُ يقومُ بفصلِ الغطاءينِ قامتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بانتزاعِ كلِّ ما في راحَةِ يدِهِ، ثُمَّ مزَّقتهُ، وكَوَّرتْهُ ورمتْ بِهِ في سلَّةِ المُهملاتِ.

ـ والآنَ اغسلْ يديكَ وأنتَ مكانَكَ، هلْ تسمَعُني؟ يا إلهي، إنَّ هذا أمرٌ مُقَزِّزٌ! أينَ الصّابونَ في المطبخِ؟ وكانَ وجهُها قدِ احمرَّ جرّاءَ الإثارةِ والتَّوتُّرِ.

ـ يا لَها مِنْ وقاحَةٍ! صاحَ ليبّل في الوقتِ نفسِهِ. لقدْ رميتِ في سلَّةِ القُمامةِ بكلِّ شيءٍ؛ فقدْ كانَ في جيبي ورقةَ (المَلَبَّسِ)، ونِقاطَ العلبةِ الَّتي تناولتُها في الصَّباحِ. لمْ يكنْ كلُّ شيءٍ قذرًا. لقدْ أضعتِ عَليَّ ثلاثَ نِقاطٍ. ثلاثَ نْقاطٍ!

ـ هيّا اغسلْ يديكَ، واغسلْ أصابعَكَ. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ وهيَ تدفعُ ليبّل إلى حوضِ الجَلي الخاصِّ بالمطبخِ، وتفتحُ صُنبورَ الماءِ بأصابعِها، وتغسلُ يَديها. بعدَ ذلكَ أمسكتْ، وهيَ تشعرُ بالغَثيانِ، بيدي ليبّل، وكانتْ حَذِرَةً تماآمًا، حتّى لا تنتقلَ البكتيريا إليها، فوضعَتْهُما أسفلَ صُنبورِ المياهِ، ولمْ تهدأْ إلّا بعدَ أَنْ جَرى الماءُ فَوقَهُما.

ـ هكَذا همُ الأطفالُ! قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ وهيَ ترتجفُ غَضَبًا، وكانتْ في تلكَ الأثناءِ تقومُ بتنشيفِ يديّ ليبّل بفوطةِ التَّنشيفِ الخاصَّةِ بالجَلي. ثُمَّ قالتْ:

ـ والآنَ يمكنُكَ أَنْ تجلسَ، وتتناولَ طعامَكَ! ثُمَّ أضافتْ بقدرٍ مِنَ التَّسامُحِ: يمكنُكَ أَنْ تضعَ بعضَ الزُّبدةِ أسفلَ المَعكرونةِ، حتّى لا تظلَّ جافَّةً.

ـ لا. شكرًا. لمْ أعُدْ أشعرُ بالجوعِ. ردَّ ليبّل الَّذي تركَ السَّيِّدَةَ يعقوبَ وحدَها في المطبخِ، وصَعِدَ إلى غرفتِهِ، واستلقى فوقَ السَّريرِ.